الأوضاع العامة للجزيرة العربية قبل الإسلام وأهم الديانات والمعتقدات الموجودة فيها

THE GENERAL CONDITIONS OF ARABIA BEFORE ISLAM AND THE MOST IMPORTANT RELIGIONS AND BELIEFS IN IT.

*د. نرجس كدرو

ABSTRACT:

The importance of this topic is that it will shed light on the conditions of the Arabian Peninsula and the religions present in it prior to the mission of the Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, and the general situation that paved the way for the Arabian Peninsula to accept the Prophet's call, due to the religious deviations in the region, the deviation of the monotheistic religions from their original approach, and the entry of corruption To her, the Prophet's call was a lifeline for this nation.

KEYWORDS: Arabian island –Islamic era – religions – beliefs – idols – Christianity – Judaism – Hanifism.

الكلمات المفتاحية: الجزيرة العربية– العصر الجاهلي– الأديان– المعتقدات– الأصنام– المسيحية– اليهودية– الحنيفية.

الملخص:

تأتي أهمية هذا الموضوع كونه سيسلط الضوء على أوضاع الجزيرة العربية والديانات الموجودة فيها قبيل بعثة النبي مُحَمَّد ﷺ، والحالة العامة التي مهدت لتقبل الجزيرة العربية دعوة

* دكتوراه في التاريخ الإسلامي، عضو هيئة تدريسية سابق في جامعة حلب/ سورية، أستاذ مساعد – جامعة آرتقلو ماردين– تركيا.

النبي، وذلك بسبب الانحرافات الدينية التي شهدتها المنطقة، وابتعاد الديانات السماوية عن منهجها الأصيل، ودخول الفساد إليها، فكانت دعوة النبي بمثابة طوق النجاة لهذه الأمة.

المقدمة:

تعتبر الدراسات في السيرة النبوية؛ من أهم الموضوعات التي يتناولها الباحثين في مختلف اختصاصاتهم، وكل يتناولها بطريقته، ويستقي منها منهجه، وذلك لما تحتويه على الكثير من العبر التي تهم كل إنسان مسلم، لما فيها من معاني عميقة تدفع كل مسلم يريد الاقتداء بسيرة نبيه المصطفى ﷺ، والوقوف على العبر والدروس التي نستفيد منها في وقتنا المعاصر، لنتجاوز الأزمات التي تعصف بالأمة الإسلامية، وهذه الأزمات ليست بجديدة فقد مرت الأمة الإسلامية بأقسى وأمر من ذلك واستطاعت تجاوز هذه الأزمات من خلال التمسك بدينها والالتزام بمنهج النبي ﷺ ، وطريقة تعامله مع هذه الأزمات، ومعالجتها بالحكمة والموعظة الحسنة، لذا فإن دراسة السيرة تحمل في طياتها فوائد عظيمة تصلح لكل زمان ومكان وليست وقفاً على حقبة بعينها، حيث يستفيد منها السياسي والقائد، والعالم، والمصلح، والزاهد، كما يستفيد منها الخاصة والعامة للكنز الكبير الذي قدمه النبي ﷺ لهذه البشرية. **وهنا تكمن أهمية الموضوع** الذي سأتناوله في البحث وهو استعراض للحالة العامة للجزيرة العربية قبل بعثة النبي والأوضاع الدينية فيها، فقد كانت منطقة الجزيرة في حالة من التخبط والخواء الروحي، وانتشار الظلم والجهل وذلك لابتعادهم عن المنهج الرباني الذي فرضه الله على عباده، فكانت الحالة الدينية للعرب قبل بعثة النبي في حالة من الفوضى حيث انتشرت الوثنية وعبادة الأصنام وشملت غالبية المجتمع، إضافة إلى الحنفية بقايا دين إبراهيم، كما وجدت اليهودية والنصرانية التي لم تخل من التحريفات، وهذا ما جعل الجزيرة العربية في حالة من التخلف الديني، إلى أن قيض الله لهذه الأمة نبياً جاء بدين يخالف ماكان عليه العرب آنذاك، فكان ظهوره بمثابة ثورة على الظلم والانحرافات والتعددية الدينية، والدعوة إلى التوحيد الذي شمل فيما بعد وحدة الأمة وقيادتها للعالم، وهذا ما أوضحه المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون، حين ذكر أن الإسلام ألف بين قلوب العرب

وأنهم فتحوا العالم بفضله متخذين ما أمرهم من العدل والإحسان والتسامح والرأفة بالأمم المغلوبة دستوراً لهم[1]. استخدمت الباحثة **المنهج الوصفي التحليلي**، وذلك من خلال رصد لتلك الحالة في الجزيرة واستنباط الفائدة في ظهور دعوة النبي مُحَمَّد ﷺ.

أولاً: الموقع والتسمية للجزيرة العربية:

جزيرة العرب هي أكبر شبه جزيرة في العالم، تحيط بها المياه من أطرافها الثلاثة[2]، وتقع جزيرة العرب بين بحر فارس والقلزم(البحر الأحمر)، كأنها داخلة من البر في البحر، يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب، وبحر القلزم من الغرب، وبحر فارس من الشرق، وتفضي إلى العراق ما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمئة ميل بينهما[3]، وهذا الموقع الجغرافي جعلها تقع بين القارات المعروفة في العالم القديم، فإن ناحيتها الشمالية الغربية باب الدخول في قارة افريقية، وناحيتها الشمالية الشرقية مفتاح لقارة أوروبا، والناحية الشرقية تفتح أبواب العجم والشرق الأوسط والأدنى، وتفضي إلى الهند والصين، وهذا الموقع المتوسط شمالي الجزيرة وجنوبيها جعلها مهبطاً للأمم ومركزاً لتبادل التجارة والثقافة والديانة والفنون[4]، كما وينقسم تاريخ العرب قبل الإسلام إلى قسمين: **أولاً:عصر سبأ وحمير** وينتهي عند بداية القرن السادس الميلادي، **ثانياً:العصر الجاهلي**، ويشمل معظم القرن السادس إلى مولد النبي ﷺ 571م ، كما تعتبر الجزيرة العربية ذات طبيعة مزدوجة حيث اشتملت على صحروات وجبال وهضاب، كما اشتملت على وديان خضراء، مما أنتج انقسام سكانها إلى

[1] – حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص11.

[2] – سميرة الزايد: مختصر الجامع في السيرة النبوية، ط1، المطبعة العلمية، دمشق، 1995م، ج1، ص32.

[3] – ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر، تقديم: عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007م، مصورة عن الطبعة الأولى،ج1، ص39

[4] – سميرة الزايد: المرجع السابق، ص32.

قسمين حضر وبدو، وتركز الحضر في المناطق الجنوبية وعرفوا باسم عرب الجنوب، أما البدو فانتشرت مضاربهم في المساحات الصحراوية الوسطى والشمالية وعرفوا بعرب الشمال[5].

كما قسم المؤرخون تاريخ العرب إلى أقسام القسم الأول **العرب البائدة** وهم الذين بادوا ودرست آثارهم وانقطعت أخبارهم، ولا نعرف عنهم شيئاً إلا ما ورد في الكتب السماوية كعاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الأولى، أما القسم الثاني فهم **العرب العاربة** وهم شعب قحطان وموطنهم بلاد اليمن، ومن أشهر قبائلهم جرهم ويعرب ومن يعرب تشعبت القبائل والبطون، من فرعين كبيرين هما كهلان وحمير، ولما أخذ اليمنيون بأسباب الحضارة قامت لهم عدة ممالك أشهرها معين وسبأ وحمير[6]، وهناك **العرب المستعربة** كما تسمى بالعرب العدنانية، وموطنهم الأول مكة المكرمة ويعرفون بعرب الشمال وهم من صلب إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، قيل لهم العرب المستعربة لأنهم انضموا إلى العرب العاربة وأخذوا منهم العربية، ولما كانت الطبقة الأولى من العرب قد بادت وذهبت، تكون العرب الباقية وكلها من ولد قحطان وعدنان، استوعبت شعوب العرب كلها[7].

ثانياً: الحالة العامة للجزيرة العربية قبيل بعثة النبي ﷺ:

كانت الإنسانية قبل بزوغ فجر الإسلام العظيم، تعيش مرحلة من أحط مراحل التاريخ البشري في شؤونها الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وتعاني فوضى عامة في جميع شؤون حياتها، وهيمن المنهج الجاهلي على العقائد والأفكار والتصورات، وأصبح الجهل والهوى والفجور والتعسف من أبرز ملامح المنهج الجاهلي المهيمن على دنيا الناس، كما ضاع تأثير الديانات السماوية على الحياة بسبب ما أصابها من التبديل والتحريف

5 – إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1986م، ص7-8.

6 – ابن الوردي: تاريخه ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج1، ص84، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت، 1996م، ج1 ، ص13.

7– سميرة الزايد: المرجع السابق، ص37.

والتغيير، التي جعلها تفقد أهميتها باعتبارها رسالة الله إلى خلقه[8]، وخير ما يوصف هذه الحالة السيئة والمزرية للجزيرة قبيل بعثة النبي مُحَمَّد ﷺ، ما ذكره جعفر بن أبي طالب عم النبي ﷺ ، حين عرض للنجاشي ملك الحبشة أحوالهم قائلاً:" أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً"[9]. من خلال هذا الوصف تبرز الحالة العامة للعرب في الجاهلية، ونخرج منها بفائدة وهي أن العرب كانوا مهيئين لاستقبال دعوة النبي ﷺ، بسبب ما أصابهم من خلل في تركيبتهم الاجتماعية، التي أدت إلى انتشار أمراض خطيرة في المجتمع تهدد بزواله إن استمرت على ذلك، حيث ظهر الفساد في كافة جوانب الحياة من انتشار للقتل والزنا والفواحش، والتصارع بين القبائل، حتى ظهر النبيﷺ والذي كان من أولوياته حل هذه المعضلات المتفشية في الجزيرة، ولقي القبول من قبل الناس وذلك لسمو الدعوة التي أتى بها، والتي أصلاً تقابل طبيعة العربي الأصيل الذي يحمل من مكارم الأخلاق الشيء الكثير.

ثالثاً: الوضع الديني في الجزيرة العربية قبل بعثة النبي مُحَمَّد ﷺ:

تعددت الآراء حول تحديد مدلول لفظة دين، وتشمل الدراسات الحالية تاريخ الأديان وعلم النفس الديني، وذلك أن الدين نفسه ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية، فكل دين

8 – علي مُحَمَّد الصلابي: السيرة النبوية، دار الروضة، استانبول، تركيا، 2019م، ص16.

9– ابن كثير: صفوة السيرة النبوية، ط3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2003م، ج2، ص11– 12، السيد أبي الحسن الندوي: سيرة خاتم النبيين، تحقيق: عبد السلام البيجرماني، ط1، مكتبة ديار بكر، تركيا، 2016م، ص55.

ظهر في التاريخ كانت له جذوره التاريخية في الموطن الذي ظهر فيه، وجذوره المعرفية المتصلة بالواقع البشري الذي ظهرت فيه بذور التفكير النظري، وإمكانات الفصل بين الفكر والواقع، ومع تطور القوى المنتجة ظهرت أشكال عديدة من المعتقدات كالطوطمية والتوحيدية والحنيفية واليهودية والمسيحية والوثنية، وتأثرت بمؤثرات خارجية عربية وأجنبية وذلك بحكم صلات العرب التجارية والحضارية مع بعضهم أولاً ومع بقية العالم ثانياً[10].

1–الشرك والوثنية:

كان الدافع وراء انتشار عبادة الأوثان والحجارة في بني إسماعيل، أنه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم، إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم، تعظيماً للحرم، وصبابةً بمكة، فحيث ماحلوا وضعوا هذه الحجارة وتبركوا بها، وطافوا بها طوافهم للكعبة، تيمناً وتبركاً بها، وصبابة بالحرم، وهم بعد يحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ثم بعد ذلك نزعوا ما عبدوا واستحبوا، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل، فعبدوا الأوثان، وصاروا على ما كانت عليه الأمم من قبلهم[11].

وكانت هذه الأصنام على أشكال مختلفة بعضها على صورة إنسان كود والعزى وسواع، وبعضها على صورة حيوان أو طائر، وكان الحمام من بين الطيور التي عبد العرب أصنامها قبل الإسلام، فأقاموا لها أصناماً في الكعبة، وكانت بعض الأصنام جماداً لاصور لها كاللات[12]، وكانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم

[10] – سهيل زكار، شكران خربوطلي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى" عصر الرسول والخلفاء الراشدين"، منشورات كلية الآداب، جامعة دمشق، ص34.

11 – ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1955م، ج1، ص77، ابن الكلبي: هشام بن مُحَمَّد بن السائب: الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م، ص6.

[12] – سهيل زكار: الدولة العربية، ص38.

الكعبة لها معابد وسدنة وحجاب، تحج قبائل إليها وتطوف بها وتقدم لها القرابين[13]، وكان لكل قبيلة صنم "ود" بدومة الجندل لكلب، و"سواع" لهذيل، "ويغوث" لمدحج ولقبائل اليمن، و" نسر" لذي الكلاع بأرض حمير، و"يعوق" لهمدان، و" اللات" لثقيف بالطائف، و" العزى" لقريش وهي كنانة، و" مناة" للأوس والخزرج، و" هبل" أعظمها على ظهر الكعبة، و" إساف ونائلة" على الصفا والمروة[14]، وإن إساف ونائلة من قبيلة جرهم، وكان إساف يعشقها لنائلة في أرض اليمن فأقبلوا حجاجاً، فدخلا الكعبة، ووجدا غفلة من الناس، فأحدثا فيها، فمسخمها الله حجاراً، ووضعا موضعهما، ولكن مع الزمن عبدتهما قريش وخزاعة، ومن حج البيت من العرب فيما بعد[15].

وكان الذي أدخل عبادة الأصنام إلى مكة عمرو بن لحي، الذي غير دين إسماعيل ونصب الأوثان، وذلك أثناء توجهه إلى الشام، لبعض شؤونه، فلما قدم مآب من أرض البلقاء، رآهم يعبدون أصناماً، فقال لهم: ماهذه التي آراكم تعبدون؟، قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: ألا تعطوني منها صنماً فأسير إلى أرض العرب فيعبدونه، فأعطوه صنماً يقال له هبل، فأتى به مكة فنصبه، وأمر الناس بعبادته[16]. وبلغ من اهتمام العرب بهذه الأصنام أن الحجاج من الأوس والخزرج، ومن يأخذ بأخذهم من أهل يثرب وغيرهم، كانوا يحجون، ويقفون مع الناس في المواقف كلها، وكانوا لا يحلقون رؤوسهم إلا عند الصنم، ولا يرون لحجتهم تماماً إلا بذلك[17]، ورغم وجود اليهود في يثرب، ورغم تأثيرهم الكبير في الحياة فيها، إلا أن عامة الأوس والخزرج لم

13 – ابن هشام: المصدر السابق، ص83، ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عماد زكي البارودي، خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج2، ص104، سهيل زكار، شكران خربوطلي: تاريخ الدولة العربية، ص38.

14 – ابن الوردي: تاريخه، ص84.

15 – ابن الكلبي: الأصنام، ص9.

16 – ابن هشام" السيرة، ج1، ص76– 77، ابن كثير: البداية والنهاية، ص99.

17 – ابن الكلبي: الأصنام، ص14.

يتخذوا اليهودية ديناً لهم، ولم يستبدلوها بالوثنية عدا أفراد قلائل منهم[18]. وهذه إشارة إلى تعلق العرب في تلك المرحلة بهذه الحجارة التي لا تنفع ولا تضر، ومع ذلك دخلت إلى حياتهم، وقد يكون السبب في اعتقادهم بها فقط لأنها أصبحت منتشرة بين القبائل، وربما كانت طريقاً للتنافس بين القبائل والتفاخر على بعضهم البعض بهذه الحجارة، وهذا ما لاحظناه في أثناء غزوة أحد، بأن قريش كانت تستعين بأصنامها حين تحارب، وتستمد العون منها في الحرب لنبعث الهمة والنشاط في النفوس حين ذكرها[19]، فلما كان أبو سفيان يوم أحد نادى " اعل هبل، اعل هبل"، فقال المسلمون بل الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم، فقال المسلمون الله مولانا ولا مولى لكم[20]، وهذا يدلل على تقديسهم لها، حتى أن النبي عندما دخل مكة فاتحاً كان بها ثلاثمائة وستين صنماً، وكانت بيد رسول اللهﷺ قضيباً فكان يقول " جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا" ثم يشير إليها بقضيبه فتساقط على ظهورها[21].

ولم يقتصر الأمر على عبادة الحجارة والأوثان، فمنهم صائبة تعتقد في أنواء المنازل اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا تتحرك إلا بنوء من الأنواء، وتقول مطرنا بنوء كذا، ومنهم عابدوا الملائكة، وعابدوا الجن[22]، كما كانت بعض العرب تؤمن بعقائد الطوطمية حتى الحقبة التاريخية المتصلة بظهور الإسلام وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم

18 – سميرة الزايد: السيرة، ص89.

19 – جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، منشورات جامعة بغداد، 1993م، ج6، ص239.

20 – الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، مج2، ص68، جواد علي: المرجع السابق، ص239.

21 – الأزرقي " أبي الوليد مُحَمَّد بن عبد الله": أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة الأسدي، 2003م، ص191.

22 – ابن الوردي: المصدر السابق، ص84.

شجرة عظيمة خضراء، يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً[23].

وكانت العرب في أديانهم على صنفين الحمس والحلة، فأما الحمس فقريش كلها، وأما الحلة فخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً، وقد عرفوا بتشددهم على أنفسهم في دينهم، وكانوا يخرجون من الحرم إذا حجوا حيث لا يسلؤون السمن ولا يدخروا لبناً ولا يجزوا شعراً ولا ظفراً ولا يدهنوا، ولا يمسوا النساء ولا الطيب، ولا يأكلون لحماً ، ولم يلبسوا في حجهم وبراً ولا صوفاً، ويطوفون البيت في نعالهم ولا يطأون أرض المسجد تعظيماً له[24]، وكان الحاج لايطوف طواف الإفاضة بالبيت إلا عارياً، أو في ثوب أحمسي وإن طاف بالثياب فلا يحل له أن يلبسها وكانوا لايستظلون أيام منى زيادة في تحمل المشاق وإمعاناً في تعذيب النفس، وكانوا أيام الموسم لا يخرجون إلى عرفات، بل كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم[25].

2– المجوسية:

كما عرف العرب بعضاً من عبادة النار أو المجوسية، وقد تسربت إليهم عن طريق الاتصال بالفرس في الحيرة واليمن وحضرموت، والعربية الشرقية[26]، فهناك قوم قالوا بالثنوية وتزندقوا[27]، وكانت المجوسية في بني تميم وأن أسعد بن زرارة بن عدس وابنه حاجب، وهما

[23] – الأزرقي: أخبار مكة، ص203 ج4، سهيل زكار: تاريخ الدولة العربية، ص36.

[24] – ابن واضح الإخباري أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب: تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، 1358، ص213.

[25] – الأزرقي: المصدر السابق، ص271، سهيل زكار: تاريخ الدولة العربية، ص40.

[26] – مُحَمَّد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار النفائس، بيروت، 2009م، ص261.

[27] – ابن واضح الإخباري : المصدر السابق، ص214.

من سادات تميم كانا قد اعتنقا المجوسية، وكان الأقرع بن حابس وأبو الأسود جد وكيع بن حسان[28].

3- اليهودية:

كانت الجزيرة العربية على صلات وثيقة مع جيرانها عن طريق التبادل التجاري والثقافي، كما كانت هدفاً للتيارات الثقافية الأجنبية، فانتشرت فيها اليهودية والنصرانية، كما كانت مصطرعاً بين النفوذين الروماني والفارسي[29].

وهناك العديد من الروايات التي تتحدث عن وجود اليهود في الحجاز، فمنهم من يرى أن هجرة اليهود إلى الحجاز تعود إلى عصور قديمة تعود إلى عهد النبي موسى عليه السلام، وغزوه للعماليق، حين أرسل لهم جيشاً من بني إسرائيل، وأمرهم ألا يبقوا أحداً منهم، لكن الجيش خالف الأوامر وتركوا أحدهم، فاعتبرت معصية ، فلم يدخلوا الشام، ورجعوا إلى بلاد العمالقة، وكانت هذه أولية سكنى اليهود بيثرب، فانتشروا في نواحيها وبنوا البيوت والآطام والمزارع[30]، ومنهم من يرى أن هجرتهم كانت بعد غزو بختنصر (نبوخذ نصر)، في عام 586 ق.م لليهود في أورشليم، فتفرقت بنو إسرائيل في البلاد، فنزلت طائفة منهم الحجاز، وطائفة يثرب ووادي القرى، وأقاموا مع العرب[31]، ومنهم يرى أن وجود اليهود في يثرب يعود إلى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وذلك بعد أن سيطر الرومان على سوريا ومصر في القرن الأول قبل الميلاد، وعلى اليهودية ودولة الأنباط في القرن الثاني بعد الميلاد، وقد ساعدت هذه الظروف على هجرة أعداد من اليهود إلى شبه الجزيرة العربية التي كانت بعيدة عن السيطرة الرومانية، وهذه الرواية أقرب إلى الحقيقة حيث ذكر بنو قريظة

---

[28] – مُحَمَّد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص261.

[29] – حسين الحاج حسن: حضارة العرب في صدر الإسلام، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1992م، ص20.

[30] – ابن خلدون: العبر، ج2، ص287.

[31] – ابن الوردي: تاريخه، ابن كثير: البداية والنهاية، ص414.

أن الروم قد ظهروا على الشام وقتلوا كثيراً من بني إسرائيل، فخرج بنو قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون الحجاز[32].

من خلال هذا العرض البسيط يتضح لنا أن اليهود سكنوا في الجزيرة العربية بفعل عوامل كثيرة منها الاضطهاد الديني، وسواء كانت الهجرة في عهد نبوخذ نصر، أو في العهد الروماني وهذا مانرجحه على الأغلب، فإن وجود اليهود في تلك المنطقة هو وجود عابر لم يكن له تأثيراته على الجزيرة العربية، وربما يعود ذلك ربما لطبيعة اليهود والتي لا تحبذ الاختلاط بالآخر، فبقيت تأثيراتهم ضئيلة في مجتمع الجزيرة.

وكان اليهود قد سكنوا في يثرب قبل أن ينزلها الأوس والخزرج ويسكنون فيها[33]، ثم توالت الهجرات اليهودية إلى جزيرة العرب عامة، ويثرب خاصة، حتى كان آخرها سنة 70م إثر تدمير الرومان لهيكل البيت المقدس، وكانوا يعيشون في قرى وأحياء خاصة بهم، وكانوا يعيشون مستقلين ومتكتلين على بعضهم، في حماية سادات القبائل ورؤسائها[34].

وأما من تهود من العرب فقد تهود قوم من اليمن، كما تهود قوم الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن ومجاورتهم ليهود خيبر وقريظة والنضير، كما تهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان وقوم من جذام[35]، وقد اختلط اليهود بالعرب، وكانوا في حياتهم الاجتماعية والسياسية متشابهين، لا بل إن أسماءهم حملت الطابع العربي، ثم إنهم لم ينجحوا في نشر اليهودية بين بقية العرب إلا بشكل محدود[36]، ويرجع أسباب خمود اليهودية قبل ظهور الإسلام، وفشل محاولات اليهود في نشرها بين العرب لأسباب منها عدم اهتمامهم

---

[32] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص287، ياسين غضبان: مدينة يثرب قبل الإسلام، دار البشير، الأردن"عمان"، 1993م، ص75- 76، ناصر السيد: يهود يثرب وخيبر الغزوات والصراع، ط1، المكتبة الثقافية، بيروت، 1992م، ص13- 14.

[33] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص486.

[34] – سميرة الزايد: السيرة، ص86.

[35] – ابن واضح الإخباري: تاريخ اليعقوبي، ص 214.

[36] – سهيل زكار: الدولة العربية، ص42.

الجدي بالتبشير بدينهم اعتقاداً منهم أنهم شعب الله المختار، وأن الشعوب الأخرى غير جديرة بذلك، إضافة إلى احتقار العرب لهم بوصفهم عملاء للفرس، ولما عرفوا به من صفات ذميمة كنقض العهود والغدر، وتنفير العرب من شعائرهم المعقدة[37]، كما عرف عن اليهود اشتغالهم بالربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل[38]، وكلها صفات تجعل الناس حريصين على ألا يختلطوا بهم لتخوفهم منهم، وبالتالي عدم حصول تفاعل بين الطرفين.

كما وصف الندوي اليهودية في تلك المرحلة بأنها مجموعة من طقوس وتقاليد لاروح فيها ولا حياة، وهي ديانة سلالية لا تحمل للعالم رسالة ولا للأمم دعوة، ولا للإنسانية رحمة[39]، كما كانت العلاقة بين القبائل اليهودية مضطربة، وقد أدى التنافس بين ساداتهم إلى نشوب الحروب بينهم في الجاهلية، واضطرت بنو قينقاع إلى محالفة قبائل الخزرج، بينما تحالفت بنو قريظة مع الأوس، وبذلك افترقوا إلى فرقتين متخالفتين[40].

النصرانية:

تسربت النصرانية إلى الجزيرة العربية عبر ثلاثة روافد هي التبشير والتجارة والرقيق الأبيض، وقد تسربت النصرانية إلى الجزيرة من بلاد الشام والعراق والحبشة، بواسطة المبشرين والتجار، وبفعل اتصالها بطرق القوافل التجارية البرية والبحرية في البلدان التي انتشرت فيها النصرانية، وبذلك انتشرت في عدد من مناطق الجزيرة في دومة الجندل ووادي القرى ومكة، والطائف واليمامة وأجزاء أخرى من الجزيرة العربية، ولكنها لم تصل إلى أعماق الحياة العربية لما آثارته من قضايا لاهوتية ولأنها ارتبطت بالدولة البيزنطية وعدوا أن قبول النصرانية معناه الولاء الدولة البيزنطية وهذا أمر قد رفضوه[41].

---

[37] – مُحَمَّد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص264.

[38] – إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد مصر، ص18.

[39] – أبي الحسن الندوي: سيرة خاتم النبيين، ص10.

[40] – سميرة الزايد: المرجع السابق، ص86.

[41] – مُحَمَّد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص269–272.

وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى، منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن أسد، ومن بني تميم بني امرؤ القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة بنو تغلب، ومن اليمن طيئ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم[42]، وكان ورقة بن نوفل قد استحكم في النصرانية، ورغب عن عبادة الأصنام، وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب، وبشر خديجة بالنبي ﷺ وأنه نبي هذه الأمة وأنه سيؤذى ويكذب[43].

وأيضاً كان بنجران بقايا من دين عيسى بن مريم على الإنجيل وهم أهل فضل واستقامة في دينهم، لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر، وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وأهلها وسائر أهل العرب يعبدون الأوثان، والذي دفعهم لدخول هذا الدين هو يقال له فيميون، جلس بينهم، وحملهم عليه، فدانوا به [44]، ولم يقتصر أمر النصرانية على مكة فقد كان في الطائف نفر من الموالي على دين النصرانية منهم عداس مولى عتبة بن ربيعة، وقد ساعد وجود اليهودية والنصرانية في الحجاز على تغيير الوعي الديني باتجاه النظر التجريدي نحو فكرة الوجود، متجاوزاً النظرة الوثنية الحسية وأعيد إحياء ظاهرة الحنفاء[45].

وانتشرت الكنائس في الجزيرة فكان لبني عبد الحارث بن كعب كعبة " كنيسة: بنجران يعظمونها، كما بنى أ برهة الأشرم بيتاً بصنعاء وهي كنيسة سماها القليس، لم يبن أحد مثلها، وأراد أن يصرف العرب عن حجهم إلى مكة، إليها[46]، وقد ترافق ذلك مع دخول نفر من العرب إلى اليمن، فلما دخلوا صنعاء إذ هم ببيت قد بني كبنيان الكعبة، فدخل أولئك النفر وتغوط أحدهم فيه، مما أغضب إبرهة، وحلف بدينه ألا يتركهم حتى يخرب

42 – ابن واضح الإخباري: تاريخ اليعقوبي، ص214.

43 – المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003، ج1، ص71، ابن كثير: البداية والنهاية، ص152.

44 – ابن هشام: سيرة النبي، ص31.

45 – سهيل زكار: الدولة العربية، ص43.

46 – الكلبي: الأصنام، ص44– 47.

بلدهم[47]. غير أن النصرانية في اليمن كانت مدعاة لعدم الاهتمام لأنها اعتمدت على دولة الحبشة التي أخذت بالتداعي، والدولة البيزنطية المنهمكة بقتال فارس، باستثناء نجران التي انتشرت فيها النصرانية بشكل لافت، وأنشأ الأحباش فيها كنيسة باسم كنيسة نجران[48]، وهذه الكنيسة أو البيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي، وعظموها مضاهاة للكعبة، وسموها كعبة نجران[49]، والذي أبعد العرب عن عدم قبول النصرانية هو ربطهم بينها وبين الدولة البيزنطية، وقبولهم لها يعني الخضوع للبيزنطيين[50].

الحنيفية

تعني لفظة حنيف المسلم الذي يتحنف عن الأديان، أي يميل إلى الحق، وقيل هو من أسلم في أمر الله ولم يلتو في شيء، كما يقال أنه من اعتزل الأصنام والأوثان وتعبد [51]، ولم يشركوا بربهم أبداً، سفهوا الأصنام، وسفهوا رأي القائلين بها، ويذكر أهل الأخبار أن الجاهليين جميعاً كانوا قبل عمرو بن لحي الخزاعي على دين إبراهيم موحدين ولا يشركون به شيئاً[52].

47 – أحمد بن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد فاروق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1985م، ص70.

48 – مُحَمَّد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص272.

49 – ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج5، ص 268.

50 – مُحَمَّد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 273.

51 – ابن منظور: لسان العرب، تصحيح أمين مُحَمَّد عبد الوهاب، مُحَمَّد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ص، 362– 363، إبراهيم أحمد العدوي: المرجع السابق، ص30.

52 – جواد علي: المفصل، ص449– 450.

والمعروف أن الحنيفية لم تستهدف إقامة دين جديد، وإنما كانت مجرد حركة دينية وصف أتباعها الذين سمت نفوسهم عن عبادة الأوثان، بالحنفاء أتباع إبراهيم عليه السلام[53].

عاش معظم الحنفاء في الأيام الأخيرة من الجاهلية، وأن بعضهم أدرك الإسلام، وبعضهم الآخر تنصر، وقد طاف بعضهم في الأرض بحثاً عن دين إبراهيم الحنيف، وإن منهم من قرأ التوراة والإنجيل وفهمهما، وقد تجنبوا الخمر والأعمال المنكرة، ونصحوا الناس بالابتعاد عن عبادة الأصنام، والتقرب إلى الله[54]، وكان زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ممن تأله في الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الأصنام[55]، و قد صار على دين إبراهيم، وكان الخطاب– والد عمر بن الخطاب– عمه وأخاه لأمه، وكان زيد يصلي إلى الكعبة ويقول إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم[56].

وقد امتنع الأحناف عن أكل الذبائح وكل ما أهل لغير الله، فقد ذكروا عن كل واحد من الأحناف أنه امتنع عن أكل الذبائح التي تذبح للأوثان والأصنام، لأنها ذبحت لغير الله، نسب إليهم تحريم الخمر، والتأمل والتفكر في خلق الله، ونسبوا إليهم أداء شعائر الحج وغير ذلك[57]، وما لبثت الحنيفية أن تطورت مع تطور المجتمع المكي وواكبت حاجاته، فكانت الحنفاء البشير الذي عبر بعمق عن حاجات مجتمعهم الدينية والاجتماعية والسياسية، وهي الحاجات التي كتب للإسلام أن يسدها جميعاً[58].

نتائج البحث والخاتمة:

53 – مُحَمَّد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص167.

54 – مُحَمَّد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص275– 276.

55 – الكلبي: الأصنام، ص31.

56 – ابن كثير: البداية والنهاية، ص151.

57 – جواد علي: المفصل، ص452.

58 – مُحَمَّد سهيل طقوس: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص280.

من خلال هذا الاستعراض البسيط للحالة الدينية لمجتمع الجزيرة قبل ظهور الإسلام تتضح عدة أمور منها:

1– حالة الفوضى الدينية التي يعيشها العرب في تلك الفترة، وهذا يتضح من خلال تعدد الآلهة الذي شهدته الجزيرة العربية في تلك الفترة.

2– عدم الترابط السياسي والتناحر بين القبائل العربية ويفسر ذلك أن لكل قبيلة من القبائل كان لها صنم يميزها عن غيرها من القبائل الأخرى، وهذا يدلل على استقلالية كل قبيلة عن الأخرى.

3– حالة الخواء الروحي في الجزيرة العربية وابتعاد العرب عن المنهج الرباني السليم، ويفسر هذه الحالة هي إيمانهم بحجر لا ينفع ولا يضر، وابتعادهم عن عبادة التوحيد دين إبراهيم عليه السلام.

4– وجود بقايا من المسيحية واليهودية، ولكن لم يكن لهذا الأديان تأثيرها في هذه البيئة، وذلك لانحراف هذه الديانات عن المنهج السليم الذي فرضه الله لعباده، وقد انتشرت هذه الديانات بحكم موقع الجزيرة من الحضارات العظمى مما سهل انتشارها في الجزيرة.

5– وأيضاً نصل إلى استنتاج هام أنه مهما كانت الفترة مظلمة إلا أن هناك رجالاً لم يستسلموا للحالة السلبية، وذهبوا للتأمل والتفكير في خلق الله، ووحدانيته، وموقنين بأن الله سيبعث للبشرية خلاصها وهذا ما تحقق ببشارة النبي مُحَمَّد ﷺ.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ طبعة.

2- أحمد بن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد فاروق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1985م.

3- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر، تقديم: عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007م، مصورة عن الطبعة الأولى.

4- الأزرقي " أبي الوليد مُحَمَّد بن عبد الله": أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة الأسدي، 2003م.

5- الطبري" مُحَمَّد بن جرير": تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

6- ابن كثير: صفوة السيرة النبوية، الطبعة الثالثة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2003م.

7- ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عماد زكي البارودي، خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

8- ابن الكلبي: هشام بن مُحَمَّد بن السائب: الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م.

9- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003م.

10- ابن منظور: لسان العرب، تصحيح أمين مُحَمَّد عبد الوهاب، مُحَمَّد الصادق العبيدي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.

11- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1955م.

12- ابن واضح الإخباري" أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب: تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، 1358.

13- ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

14- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

ثانيا: المراجع:

1- إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1986م.

2- إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد مصر.

3- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، منشورات جامعة بغداد، 1993م.

4- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت، 1996م.

5- حسين الحاج حسن: حضارة العرب في صدر الإسلام، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1992م.

6- سميرة الزايد: مختصر الجامع في السيرة النبوية، ط1، المطبعة العلمية، دمشق، 1995م.

7- سهيل زكار، شكران خربوطلي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى" عصر الرسول والخلفاء الراشدين"، منشورات كلية الآداب، جامعة دمشق.

8- السيد أبي الحسن الندوي: سيرة خاتم النبيين، تحقيق: عبد السلام البيجرماني، ط1، مكتبة ديار بكر، تركيا، 2016م.

9- علي مُحَمَّد الصلابي: السيرة النبوية، دار الروضة، استانبول،تركيا، 2019م.

10- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

11- مُحَمَّد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار النفائس، بيروت، 2009م.

12- ناصر السيد: يهود يثرب وخيبر الغزوات والصراع، ط1، المكتبة الثقافية، بيروت، 1992م.

13- ياسين غضبان: مدينة يثرب قبل الإسلام، دار البشير، الأردن"عمان"، 1993م.